كتاب

توفيق الرحمن * للتوفيق بين ماقاله علماء الهيئة
وبين ماجاء فى الاحاديث الصحيحة
وآيات القرآن *

﴿ تأليف ﴾

صاحب الغاية القصوى من التقريب والتحقيق * والنهاية
العليا من التهذيب والتدقيق * العلامة مفتى الديار المصرية
سابقا استاذنا الشيخ محمد بخيت * أدامه الله مصونا فى
نفسه ودينه * متمكنا من ايمانه ويقينه * آمين *

(الطبعه الاولى)

﴿ حقوق الطبع محفوظة لحضرة المؤلف ﴾

مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر

R. UNIV.
BIBLIOTHEEK
LEIDEN

جغرافية الهيئة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى جعل فى السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا وجعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى أرسله الله لكافة الخلق من الثقلين بصادق الصبح بشيرا ونذيرا وعلى آله وصحبه وكل من اتبعه ووالاه وكان له مؤيدا وتصيرا . ﴿ أما بعد ﴾ فيقول العبد الفقير الى عفو الله الغنى بفضل ربه عمن سواه محمد بخيت ابن المرحوم الشيخ بخيت بن حسين المطيعى مولدا الحنفى مذهبا غفر الله له ولوالديه ولاخوانه فى الله تعالى ولكافة المسلمين

قد اشتبه على كثير من العلماء ماجاء فى علم الهيأة قديما وحديثا متعلقا بالسموات وأجرامها والارض وأقسامها وظنوا أن ذلك يصادمه ما جاء فى ديننا وشريعتنا السمحة وان الآيات القرآنية والاحاديث الصحيحة النبوية المتعلقة بما ذكر معارضة لما قرره علماء الهيأة فى ذلك العلم ﴿ فأردت ﴾ أن أكتب كتابا صغيرا حجمه كبيرا ان شاء الله تعالى نفعه غزيرا علمه قريبا على الطلاب فهمه أجمعه مما كتبه فحول العلماء المحققين وأذكر فيه ماهو الحق الصريح وأبين ماهو الباطل وماهو الصحيح معولا فى ذلك على ما قاله أولئك الفحول وعلى ما فتح الله به على هذا العبد الضعيف عسى أن يزول الاشتباه ويتميز الخبيث من الطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث ويتبين الغث من السمين ويتضح الشك من اليقين وانى وان كنت قصير الباع قليل الاطلاع لكن الذى جرأنى على الدخول فى غمار ذلك العمل الشاق أنى لم أجد كتابا ألف فى هذا الصدد وافيا بهذا الغرض غير أنى وجدت رسالة فى ذلك صغيرة الحجم غزيرة العلم للمرحوم العلامة عبدالله باشا فكرى وزير المعارف المصرية سابقا قد اشتملت على نبذ يسيرة لانها

كانت خطابا منه رحمه الله تعالى لمحرر صحيفة تسمى وادى النيل فلم يسمح له المقام بالتوسع فيما كتب حتى يفى بالمرام وكانت فى صورة محاورة بينه وبين بعض المتورعين الذين ينكرون كون الارض كرة وأن القبة الزرقاء السماوية متخيلة الى غير ذلك مما ذكره بتلك الرسالة وقدنوه فيها عن وجود كتاب اسمه الاسرار الملكوتية عربى العبارة وشرحه الافكار الجبروتية تركى العبارة ولما لم أطلع على الاسرار الملكوتية ولم أصل الى الافكار الجبروتية مع تكرار البحث وشدة التنقيب ولم تكن تلك الرسالة وافية بالغرض الذى أرمى اليه ولا كافية فيما قصدته وعولت عليه اعتمدت على الله ملهم الصواب ومذلل الصعاب فانه الجواد الكريم الوهاب وليس الا عليه الاعتماد فى التوفيق الى طرق السداد وعزمت على اخراج ذلك من القوة الى الفعل فى هذا الكتاب وسميته (توفيق الرحمن للتوفيق بين ماقاله علماء الهيئة وبين ما جاء فى الاحاديث الصحيحة وآيات القرآن)

وقبل الشروع فى المقصود أذكر مقدمة نافعة ان شاء الله تعالى أبين فيها تعريف علم الهيأة ومنزلته بين العلوم وحكم الله فيه تعلما وتعليما وما قاله العلماء اجمالا فيما يجب المصير اليه اذا خالف شىء مما جاء فى هذا العلم آية من كتاب الله أو حديثا صحيحا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فنقول وبالله التوفيق والهداية لاقوم طريق

(الاول)

اعلم ان علم الهيئة هو قواعد كلية وقوانين عامة يبحث فيها عما يتعلق بالسموات والارض والنجوم ومداراتها التى هى افلاكها من حيثية مخصوصة والعرب يسمون هذا العلم علم الهيئة واليونان يسمونه (الاسترونوميه) ومعناها بالعربى قوانين النجوم * والارض معدودة من الاجرام السماوية لانها من جملة النظام الشمسى والاجرام التى تدور حول الشمس على رأى اهل الهيئة اليوم أو هى مركز العالم الذى يدور حوله الشمس وسائر الاجرام العلوية على رأى الهرخوسية والبطلموسية من اليونان وبناء على ذلك يقال فى تعريف علم الهيئة هو علم يبحث فيه عن احوال الاجرام السماوية من حيث حركاتها ومناظرها مفردة ومجملة ومايعرض لها كذلك من المقارنة والمقابلة والتثليث والتسديس وكيفية سيرها ومقدار حركاتها وارتفاعها وانخفاضها وماضى من الليل والنهار والاطوال والعروض ونحو ذلك مما حواه علم الزيج والاصطرلاب والربع المجيب والمقنطر ومايتعلق بالشهور والسنين وفصولها والكسوف والخسوف وكل ما يحدث لتلك الاجرام مفردة ومجملة وعن علل تلك الحوادث وقواعدها وعن مايوصل الى معرفة تلك الحوادث وعللها وقواعدها بالآلات والارصاد والحساب

من اجل ذلك قسموا علم الهيئة الى ثلاثة اقسام الاول وصفى وهو مايبحث فيه عما يحدث فى تلك الاجرام على وجه ماذكرنا والثانى طبيعى وهو مايبحث فيه عن علل تلك الحوادث وقواعدها والثالث عملى وهو مايبحث فيه عن معرفة مايوصل الى القسمين الاولين بالآلات والحساب

وموضوع علم الهيئة هو الاجرام السماوية والارض التى هى واحد منها من حيث ماذكر

﴿ الثانى ﴾

اعلم ان منزلة هذا العلم من العلوم انه من أقدم العلوم وقد اعتنى به الاشوريون والكلدانيون وأهل قنيقيا ومصر والهند والصين والعرب جاهلية واسلاما وغيرهم فى السابقة والحاضرة وكان فيثاغورس معلم هذا الفن فى مدرسة كروتونا فى ايطاليا قبل ميلاد المسيح عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام بخمسمائة عام وكانت تعاليمه دائرة على ان الارض دائرة على محورها ومركز نفسها من المغرب الى المشرق وان الحركة اليومية التى

عليها مدار شروق الشمس والقمر وسائر الاجرام من المشرق وغروبها فى المغرب تابعة لحركة الارض
هذه لا لحركة الفلك الاعظم كما اعتقده الجمهور بعده ثم انشئت مدرسة الاسكندرية التى أنشأها الملوك
البطلميوسية وهنالك اخترعت أولا آلات لقياس الزوايا ومن أشهر معلميها الفيلسوف هبرخوس قبل الميلاد
بنحو مائة وخمسين سنة وبطليموس قبل الميلاد بنحو مائة وأربعين سنة ألف كتابا فى هذا الفن سماه المجسطى
اختار فيه القول بسكون الارض ودورة الشمس عليها وبنى مذهبه على ذلك فشاعت قواعده وتعاليمه بين
الناس واشتهرت فى البلاد لاستيلاء الروم على كثير من أقطار الارض ثم نقلها الفارابى من فلاسفة الاسلام
بعد ذلك فى مؤلفاته العربية فى أوائل القرن الرابع من الهجرة وتبعه ابو على ابن سينا وغيره ممن جاء بعده من
فلاسفة الاسلام واشتهرت بين علماء الاسلام فاعتمدوا عليها واعتقدها منهم وأدخلوها فى
مؤلفاتهم وعولوا عليها فى كثير من مباحثهم وتعاليمهم ومنهم من قبلها على علاتها ومنهم من محصها وحققها ومحضها
فاخرج زبدها وميز صحيحها من فاسدها حتى حمل كثير من المفسرين المحققين وغيرهم كثيرا من الآيات القرآنية
المتعلقة بالسموات والارض على تلك التعاليم وهجرت الطريقة الاولى التى كان عليها فيثاغورس الى
القرن الخامس عشر والسادس عشر حيث نبغ رجل من بروسيا يقال له كوبرنيكوس تمهر فى العلوم الرياضية
واشتغل بعلم الهيئة والرصد والحكمة وهذا النابغة فى سنة الف وخمسمائة وثلاثين ميلادية وابصر براهى فى دينمارك
سنة الف وخمسمائة واثنتين وثمانين وكبلر فى جرمانيا سنة الف وستمائة وأربع وخمسين وغاليليو فى ايطاليا سنة
الف وستمائة وتسع واربعين رجعوا جميعا الى الطريقة التى كان عليها فيثاغورس المؤسسة على حركة الارض
وقرروا أن الشمس هى مركز العالم وأن الارض وباقى الاجرام السيارة تدور حولها فاولا عطارد ثم الزهرة
ثم الارض ويتبعها القمر فيدور حولها ثم المريخ ثم المشترى ثم زحل وأيدوا هذه الطريقة بتطبيقها على
قواعد العلوم الرياضية وأبطلوا الآراء التى كان عليها البطلميوسية ووضعوا هذا العلم على أساس حقيقى وأشهر
ذلك كوبرنيكوس فى كتاب له عنوانه حركات الاجرام السماوية فحكم عليه فى مجمع كنيسة رومية بالزيغ والالحاد
ونهوا عن اشهار كتابه وعن قراءته ولو تمكنوا من احراق كوبرنيكوس نفسه لاحرقوه ومع ذلك فقد اشتهر كتابه
وشاع مذهبه فنسب اليه وقيل هيئة كوبرنيكوس * وأما غاليليو فهو أول من استعمل النظارة فى علم الهيئة وبها
كشف عن حقائق كثيرة كانت مجهولة قبل عصره ثم بقرب غرة القرن الثامن عشر كشف اسحاق نيوتون
عن قواعد الجاذبية العامة التى تخضع لها جميع حركات الاجرام السماوية واوضح تلك القواعد وبثها لابلاس
الفرنساوى ثم قام بعد ذلك فى أوقات متفاوتة وجهات مختلفة من بلاد اوربا جماعات غير من ذكر واعتنوا بهذا
العلم على هذه الطريقة حتى صارت هى المتعارفة فى الجهات الاوربية وعرفت عندهم بالهيئة الجديدة وان
كانت هى القديمة فى الواقع ونفس الامر ولذلك كانت كل واحدة من الطريقتين منقولة نقلا مستفيضا فى
الكتب الاسلامية قبل وجود كوبرنيكوس وبعده وممن ذكر الطريقتين العلامة عضد الدين بن عبد الرحمن بن
احمد المتوفى سنة سبعمائة وست وخمسين هجرية وبعد أن ذكر الطريقة المؤسسة على حركة الارض ودورانها
اعترض عليها بوجوه ثلاثة وقال ان أهمها ان فى الارض ميل حركة مستقيمة فلا يوجد فيها ميل حركة مستديرة لان
الاول يقتضى ان يكون اتجاه الحركة على الاستقامة والثانى يقتضى اتجاهها على الاستدارة فلا يجتمعان وبعد
ان رد الوجهين ردهذا أيضا بانا لا نسلم ان فى الارض ميل الحركة المستقيمة وان سلمنا فلا نسلم استحالة اجتماعهما
كيف وقد وجدا معا فى العجلة والدحروجة * وعبارة متن المواقف مع شىء من عبارة الشارح
قال فى الموقف الرابع وقيل انها يعنى الارض تدور على مركز نفسها من المغرب الى المشرق خلاف الحركة
اليومية للفلك التى اعتقدها الجمهور والحركة اليومية لا توجد وانما تتخيل بحركة الارض اذ يتبدل الوضع

من الفلك بالقياس الينا دون اجزاء الارض اذ لا يتغير الوضع بيننا وبينها فانا على جزء معين منها فاذا تحركت
من المغرب الى المشرق ظهر علينا من جانب المشرق كواكب كانت مختفية عنا بحدبة الارض وخفى عنا
بحدبتها من جانب المغرب كواكب كانت ظاهرة علينا (فيظن) ان الارض ساكنة والمتحرك هو الفلك)
وليس كذلك بل ليس ثمة فلك اطلس وذلك كراكب السفينة يرى السفينة ساكنة مع حركتها حيث لا يتبدل
وضع اجزائها منه والشط متحركا مع سكونه حيث يتبدل وضعه مع ظن انه ساكن وكذلك يجرى القمر سائرا
الى جهة الغيم حين يسير الغيم اليه من امور قدمناها فى غلط الحس وابطلوا ذلك بوجوه ثلاثة الاول ان الارض
لو كانت متحركة فى اليوم بليلته دورة واحدة لكان ينبغى للسهم اذا رمى الى جهة حركة الارض ان لا يسبق
موضعه الذى رمى فيه بل تسبقه الارض واذا رمى الى خلاف جهة حركتها ان يمر على الموضع الذى رمى منه
ويتجاوزه بقدر حركته وحركة الارض جميعا واللازم باطل لاستواء المسافة التى يقطعها السهم من الجانبين
بالتجربة الثانى الحجر يرمى به الى فوق فيعود الى موضعه راجعا بخط مستقيم ولو كانت الارض متحركة
الى المشرق لكان الحجر ينزل من مكانه الى جانب المغرب بقدر حركة الارض فى ذلك الزمان والوجهان
ضعيفان لجواز ان يشايعها الهواء المتصل بها مع ما يتصل به من السهم والحجر وغيرهما فى الحركة كما يقولون بمشايعة
النار للفلك فلا يلزم شىء من ذلك فان السهم حينئذ يتحرك بحركة الارض تبعا للهواء التابع لها فلا يتجاوز
موضعه الذى رمى منه فى الجانبين الا بحركة نفسه فيتساوى المسافات وكذلك الحجر يتحرك بحركتها
وعمدتهم فى بيان ذلك وهو الوجه الثالث ان الارض فيها مبدء ميل مستقيم بالطبع فلا يكون فيها مبدأ ميل مستدير
والاعتراض عليه منع وجود ذلك المبدأ فيها وهو أى وجوده فيها مبنى على ان ما لا ميل له لا يتحرك قسرا والا
لكانت الحركة مع العائق الطبيعى مثلها بدونه وقد عرفت ضعفه فى مباحث الخلا من الكتاب المذكور ثم
لا نسلم تنافيهما أى تنافى الميلين حتى يلزم المنافاة بين المبدئين لما ذكر من اجتماعهما فى العجلة والدحروجة انتهى كلام
متن المواقف مع شىء من شرح السيد عليه ومثله فى اكثر الكتب الكلامية الاسلامية ومن هذا يعلم ان طريقة
حركة الارض ودورانها على الوجه الذى قاله علماء الهيئة اليوم كانت معروفة كالطريقة المقابلة لها قبل سنة
سبعمائة وست وخمسين هجرية التى توفى فيها صاحب المواقف وقبل اشتهارها وانتشارها فى البلاد الاوربية لان
الذى اشهرها فيها هو كوبرنيكوس وهو قد اشتغل بالهيئة والرصد والحكمة من سنة الف وخمسمائة الى سنة الف
وخمسمائة وثلاثين من الميلاد ورجع الى طريقة فيثاغورس وسنة الف وخمسمائة وثلاثين توافق سنة تسعمائة
وسبع وثلاثين هجرية اى بعد وفاة صاحب المواقف بنحو مائة وثمانين سنة تقريبا

ويعلم ايضا ان القول بحركة الارض ودورانها على محورها وان على ذلك مدار الدورة اليومية ودوران
جميع الاجرام السماوية من المشرق الى المغرب دورانا خياليا ظاهريا فقط تبعا لدوران الارض على محورها
هو القول القديم السابق على غيره من المذاهب وانه هو المذهب الذى اختاره فيثاغورس وكان يعلمه تلامذته
فى مدرسة كروتونيا من بلاد ايتاليا قبل ميلاد المسيح عليه وعلى نبينا افضل الصلاة واتم السلام بمدة
خمسمائة عام

وان هذا المذهب وان سمى اليوم طريقة جديدة فى علم الهيئة الا انه فى الواقع هو الطريقة القديمة وانما
كانت هجرت واهملت زمانا طويلا فلما تجددت شهرتها وعاد الاعتماد عليها والقول بها وأبطال القول بسكون
الارض سميت طريقة جديدة وظن كثير من الناس انها طريقة مستحدثة وليس الامر كذلك

وان القول بسكون الارض ودوران الشمس وسائر الاجرام السماوية حولها وحركتها من المغرب الى
المشرق حركة ذاتية وحركتها ودورانها من المشرق الى المغرب حركة قسرية تتبع حركة الفلك الاطلس

والقول بالفلك الاطلس ووجوده هو المذهب الذى اختاره بطليموس الرومى وكان يعلمه لتلامذته والف كتابه الذى سماه المجسطى وكان هيرخوس قبل الميلاد بمائة وخمسين عاما يعلم هذا المذهب بمدرسة الاسكندرية التى انشأها الملوك البطليموسية * وفى اوائل القرن الرابع من الهجرة نقله الفارابى فى مؤلفاته العربية وتبعه من جاء بعده من فلاسفة المسلمين واشتهرت فى بلاد الاسلام كما اشتهرت من قبل ذلك فى البلاد الاوربية ثم هجرت هذه الطريقة اليوم وصار الذى عليه المعول هو طريقة فيثاغورس من القول بحركة الارض ودورانها على الوجه الآتى بيانه

وعلى كل حال فزايا هذا العلم جليلة ومنافعه كثيرة ومناهله عذبة وهو مما تدعو الحاجة اليه فى معرفة مناطق الارض واقسامها وأحوالها وما فيها من المناطق الحارة جدا والمناطق الباردة جدا والمناطق المعتدلة واسباب كل ذلك وكما يعرف ذلك يعرف مناطق السماء التى هى الاصل ومناطق الارض تابعة لها ويعرف اطوال البلاد وعروضها واختلاف الاوقات فيها واختلاف الليل والنهار طولا وقصرا ووجودا وعدما وما يترتب على ذلك من اختلاف المطالع واوقات العبادات واحكام المواريث فيعرف من تقدم موته ومن تأخر اذا مات اثنان او اكثر وبينهم سبب من اسباب الارث فى قت الزوال وأحد الاموات فى المشرق والأخر فى المغرب ويعرف كيف يهتدى بالنجوم فى ظلمات البر والبحر وغير ذلك مما يطول شرحه * وبالجملة فالذى يطلع على علم الهيئة الارضية والاجرام السماوية يكون كانه ساح فى اقطار السموات والارض وجاب السهل منها والحزن ووقف على كثير من الاسرار الالهية والحكم الربانية التى أودعها الله فى اجزاء الارض ومعادنها وفى الكواكب ومداراتها وحركاتها ذلك تقدير العزيز العليم * وسيأتى من ذلك شئ كثير ان شاء الله وان كان ما يصل اليه البشر من ذلك لا يبلغ مثقال ذرة مما لم يصلوا اليه وما اوتيتم من العلم الا قليلا

هذه المزايا التى ذكرناها انما هى لهذا العلم فى ذاته ولذلك اتفق عليها جميع علماء الهيئة قديما وحديثا من أهل المذهبين السابقين * وقد علمت ان علم الهيئة فى ذاته قد انقسم الى ثلاثة اقسام وصفى وطبيعى وعملى وقد علمت ما يبحث عنه فى كل قسم منها والآن نبين لك أنهم لم يختلفوا فيما يبحث عنه فى القسم الوصفى خلافا يذكر وانما اختلفوا فى القسم الطبيعى الذى يبحث فيه عن علل الحوادث التى تعرض للاجرام ويبحث عنها فى الوصفى واختلفوا ايضا فى القسم العملى الذى يبحث فيه عن كيفية ما يوصل الى معرفة ما يبحث عنه فى القسمين الاولين وعلة الاختلاف فى القسم الطبيعى هو الاختلاف فى القسم العملى والمدار فى القسم العملى على آلات الرصد ودقة الحساب وقد علمت ان اول من استعمل النظارات فى علم الهيئة هو غاليليو وبها كشف عن حقائق كثيرة كانت مجهولة قبل عصره وكان غاليليو فى سنة الف وستمائة وتسع وار بعين ثم بقرب غرة القرن الثامن عشر كشف اسحق نيوتون عن قواعد الجاذبية العامة التى تخضع لها حركات الاجرام السماوية وأوضح تلك القواعد وثبتها لابلاس الفرنساوى ومن ذلك كله تعلم ان كل ذلك لم يكن معروفا فى زمن البطليموسية ومن جاء بعدهم الى زمن غاليليو واسحاق ومن بعدهما وكانت الآلات الرصدية قبل وجود النظارات المعظمة قاصرة ناقصة وكانت قوة الجاذبية العامة التى تخضع لها جميع حركات الاجرام السماوية مجهولة فلم يمكن الوقوف على الجاذب والمجذوب وما هو الجرم الذى يجب بمقتضى تلك القوة ان تدور سائر الاجرام حوله وان يكون هو الجاذب لها لما فيه من زيادة القوة الجاذبة ولذلك جزم اهل الهيئة اليوم بان مركز العالم هو الشمس وان الارض وسائر الاجرام السماوية تدور حولها لان جرم الشمس اكبر من جرم الارض وجرم كل واحد من سائر الاجرام باضعاف مضاعفة فكانت قوة الجذب فى الشمس اكثر واكبر فالمعقول ان تكون هى الجاذبة لما سواها وكأن اهل الهيئة اليوم بناء على ذلك ولشدة لمعان ضوء الشمس

وعدم امكان تحديد النظر اليها ولا بالنظارة التى استحدثت يجهلون حركة الشمس ويظنون انها ساكنة وبعد ان استحدثت النظارة الرصدية المعظمة المعروفة باسم (تلسكوب) المشتملة على الزجاجات الملونة لاضعاف شعاعها سهل النظر اليها وعلم انها متحركة على الوجه الآتى بيانه * وبناء على هذا الاختلاف العملى الناشئ عن اختلاف آلات العمل اختلف المذهبان فقال البطليموسية بسكون الارض وحركة الشمس وقال الآخرون بحركة الارض ودورانها حول الشمس

وان الشمس ليس لها حركة حول الأرض من المغرب الى المشرق وانما لها حركة على محورها فى مدة معينة وانه ليس هناك فلك اطلس ولا غيره مما يقوله الاقدمون بل لا وجود الا للاجرام السماوية التى هى الكواكب ومداراتها التى هى افلاكها التى تسبح وتدور فيها وبين كل طبقة وطبقة من تلك الاجرام بعد شاسع ولا اتصال بين طبقاتها كما كان يقوله غيرهم

فانت ترى ان الخلاف انما هو فى علل ما يحدث فى الاجرام السماوية مما قدمنا بعضه بناء على اختلاف آلات الرصد وغيره مما يوصل الى معرفة العلل واما نفس تلك الحوادث التى تحدث للاجرام والمناظر التى تعرض لها فاكثرها مشاهد محسوس وهى التى عليها المدار فى منافع الخلق ومصالحهم كاختلاف الفصول فى السنة واختلاف الحر والبرد فى المناطق واختلاف الليل والنهار وغير ذلك مما فصلوه فى القسم الوصفى وما يتفرع على ذلك من الحوادث الكونية مما يجرى مجرى الطبيعى * وبالجملة فكل ما يبحث عنه فى القسم الوصفى وما يتفرع عنه لا يختلف ولا يتغير ولا يتخلف سواء نسبناها الى العلل والقواعد التى قال بها الفيثاغورسيه او نسبناها الى العلل والقواعد التى قال بها البطليموسية واختلاف الفريقين فى العلل والقواعد راجع الى اختلاف آلات الرصد فان ما وجد منها فى زمن الذين رجعوا الى طريقة فيثاغورس لم يكن موجودا فى زمن البطليموسية كما انه يوجد منها الآن ما لم يكن موجودا فى زمن غاليليو ولذلك استكشفوا من السيارات مثل اورانوس ونبتون مما لم يكن معروفا فى زمن غاليليو ولعل الله يحدث بعد ذلك امرا ويخلق ما لا تعلمون ولذلك كان الاستدلال على ما قصد الله تعالى الاستدلال عليه فى كتابه العزيز مما يتعلق بالاجرام السماويه من حدوث العالم ووجود الصانع ووجوب وجوده ووحدانيته وتمام ارادته وقدرته واحاطة علمه واتقان صنعه وعظيم حكمته وجليل نعمه وكمال منته على خلقه وسعة رحمته وفضله واحسانه وتدبيره لشؤونهم كلها صغيرها وكبيرها جليلها وحقيرها وانه لم يخلقهم عبثا ولم يتركهم سدى بل ارسل اليهم رسلا هادين الى صراط مستقيم وشرع قويم يكفل نظام معاشهم ومعادهم على اتم وجه واكمله قاصرا على ما يبحث فيه عن القسم الوصفى فقط لانه هو الاثر المعلوم المشاهد المتفق عليه ويشترك فى العلم باكثره الخاص والعام فهو الذى يليق ان يستدل به على ما ذكر ولا حاجة بعد ذلك فيما قصده الله تعالى فى كتابه وارشد خلقه اليه الى ان يتعرض فيه الى ذكر اسباب تلك الحوادث وعللها ولا الى ذكر الآلات التى توصل الى معرفتها لان معرفة ذلك كله والوقوف عليه موكول الى ما فطر الله عقولهم عليه وحرك نفوسهم الناطقة بمقتضى غرائزهم اليه فترك ذلك الى النظر فيه بقواهم النظرية والعمل فيه بقواهم العمليه وقد ارشدهم الى ذلك بما اودعه فى تلك الاجرام من الآيات الباهرة والدلائل الظاهرة وحضهم بذكر المعلولات والمسببات على تعرف العلل والاسباب ليتنافس فى ذلك المتنافسون وتتسابق اقدام العلماء المجدين فى ميدان الانظار والافكار ليحرز قصب السبق فى العمل والاختراع المجاهدون المجتهدون ويظهر فضل اولئك المجاهدين فى سبيل العلم والعمل على القاعدين وكان فضل الله عظيما

الثالث

اعلم ان الاجرام السماوية اما ان يبحث عنها باعتبار انها معلوم يبحث عنه من حيث ما يثبت له بما هو عقيدة دينية او بما يتوقف عليه ذلك وحينئذ يكون البحث عنه من هذه الحيثية من علم الكلام واما ان يبحث عنها باعتبار انه موجود يبحث عنه من حيث الوقوف على حقيقته ومبدئه وعلل وجوده وغير ذلك مما يتعلق بعلم الحكمة وحينئذ يكون البحث عنه من هذه الحيثية من علم الحكمة واما ان يبحث عنها باعتبار انها اجرام سماوية من حيث ما يحدث لها من الحركات ونحو ذلك وعلل ما يحدث مما ذكر وقواعده وعن كيفية ما يوصل الى هذين الامرين من الآلات والحساب وحينئذ يكون البحث عنها من هذه الحيثية من علم الهيئة واما ان يبحث عنها باعتبار انها أجرام سماوية أيضا لكن من حيث ما يتعلق بها من تأثيرها في بعض الحوادث الكونية ودلالتها على ذلك وعلى غيره من أخلاق وأوصاف ونحو ذلك والبحث عنه من هذه الحيثية من علم الاحكام وان شئت قلت ان ما يبحث عنه في علم الهيئة يسمى بالعلم الحسابي والارصادي وما يبحث عنه في علم الاحكام يسمى بالعلم الاستدلالي وكلامنا الآن قاصر على بيان حكم الله في علم الهيئة او علم الارصاد والحساب وفي علم الاحكام او العلم الاستدلالي فنقول * اما الاول منهما فالاشتغال به تعلما وتعليما غير منهي عنه كما صرح به الالوسي في تفسيره وغيره في غيره واما القسم الثاني منهما وهو علم الاحكام فهذا هو الذي اختلف العلماء في حكمه وهو علم يبحث فيه عن احكام الاجرام السماوية وتأثيراتها التي تترتب على أوضاعها وطبائعها على الوجه الذي يزعمه علماء هذا الفن فقال فريق بحرمة تعليمه وتعلمه لما جاء في حديث ابي داود وابن ماجه من انه صلى الله عليه وسلم نهى عن الخوض في النجوم والقائل بهذا قائل أيضا بحرمة تعليم علم السحر وتعلمه وفريق ذهب الى انه مكروه وفريق ثالث ذهب الى انه مباح وآخرانه فرض كفاية وفريق انه كفر وهذه الاقوال في بعضها افراط وفي بعضها تفريط والجمهور على الاول قالوا الان فيه ترويج الباطل وتعريض الجهلة لاعتقاد ان أحكام النجوم المعروفة بين اهلها حق وان الكواكب مؤثرة بنفسها وقيل انما حرم ذلك لانه منسوخ فقد قال الكرماني في عجائبه كان علم النجوم علما نبويا فنسخ وفيه انه لا معنى لنسخ العلم نفسه وان حمل كلامه على معنى ان تعلمه كان مباحا فنسخ ذلك الى التحريم كان في ذلك أخذ الدعوى في الاستدلال وهو مصادرة غير مقبولة وقال بعضهم لا حرمة في تعلمه وانما الحرمة في اعتقاد صحة الاحكام وتأثيرات الكواكب على الوجه الذي يقوله جهلة الاحكاميين لا مطلقا وقال هذا الفريق ان حديث ابي داود وابن ماجه السابق الاشارة اليه محمول على تعلم شيء من علم النجوم على وجه الاعتناء بشأنه كما يشير اليه لفظ اقتبس الذي جاء في الحديث وذلك لا يتم الا باعتقاد صحة حكمه وأن الكواكب مؤثرات فتعلمه على هذا الوجه حرام وفيه بحث من جهة ان الحديث لا يحتمل مثل هذا التأويل بدون قرينة تدل عليه وقيل ان الحديث فيمن ادعى علما بحكم من الاحكام اخذ اله من النجوم قائلا الامر كذا وكذا ولا يدلان النجم يقتضيه ألبتة وهو لا شك في اثمه وحرمة دعواه التي قامت الادلة على كذبها ولكن الكلام في صحة ارادة ذلك من الحديث ولا تكاد تتم لعدم ما يدل على ذلك وكلام بعض أجلة العلماء صريح في اباحة تعلمه متى اعتقد أن الله تعالى اجرى العادة بوقوع كذا عند حلول الكوكب الفلاني كالقمر منزلة كذا مثلا مع جواز التخلف واستظهر بعض حرمة التعلم مطلقا متى كان فيه اغراء الجهلة بذلك العلم وايقاعهم في محذور اعتقاد التأثير أو كان فيه غير ذلك من المفاسد وكراهته ان سلم من ذلك لما فيه من تضييع الاوقات فيما لا فائدة فيه ومبناه ظنون واوهام وتخيلات ولا يبعد القول بانه يباح للعالم الراسخ النظر في كتبه للاطلاع على ما قالوه والوقوف على مناقضاتهم واختلافاتهم لينفر الناس عنها ويردا العاكفين عليها كما يباح له النظر في كتب سائر أهل الباطل لذلك ولو قيل بسنيته لهذا الغرض لم يبعد والحق في هذا كله وفي تعلم سائر العلوم المماثلة لذلك من سحر وزجر

وفراسة وفأل وغير ذلك ان يقال ما قيل في تعلم علم الفلسفة العلمية والعملية والعلوم الطبيعية وفي النظر في شبه الملحدين وان تعلم ذلك كله جائز لكامل العقل والقريحة المتضلع من الكتاب والسنة علما وعملا الواقوف على ما قاله ارباب تلك العلوم وبيان ما لا يصادمه ما علم ثبوته بالضرورة من ديننا وما يصادمه ذلك فيرد الثاني ولا يتصدى لابطال الاول بل ان كان فيه ما يقبله العقل ولا يرده الشرع قبلناه والا تركناه لاهله على عهدتهم ولان العالم على وجه ما ذكر لا يخشى عليه زيغ في العقيدة بل ان وجود عالم على هذا الوصف متبحر في جميع العلوم على اختلاف انواعها لارشد المسترشدين بانارة الحجة و يرد شبه الملحدين الضالين المضلين باقامة الحجة فرض في كل مسافة قصر فان كل علم قيل فيه انه قبيح فالجهل به اقبح منه وتعلم الشر لا للشر بل لاتقاء الشر ومنعه عن الناس مندوب اليه ان لم يكن فرض كفاية وجميع ما قاله المانعون من تعلم علم الاحكام وما مائله من الادلة لا يقتضي قبح ذلك العلم والمنع منه لذاته وانما ذلك للعوارض التي قالوها فالقبيح والممنوع انما هو تلك العوارض وانما نفس العلم وتعلمه في ذاته فلا قبح فيه لان العلم اما بمعنى الملكة واما بمعنى القواعد المخصوصة واما بمعنى ادراكها على وجه التصديق بمعنى ادراك أن النسبة واقعة أو ليست بواقعة بقطع النظر عن مطابقة الواقع وعدمها وكل ذلك لا قبح فيه فالقبح انما راجع الى التضليل للجهلة أو لسوء الاعتقاد او نحو ذلك وكل هذا شيء خارج عن نفس العلم حتى لو تعلم علم الفقه لغرض سيء كالتحايل أو تعلم علم الكلام لغرض سيء كالجدل كان الممنوع ذلك الغرض دون تعلم الفقه او الكلام كما هو واضح لا شبهة فيه وقد قيل

ان العلوم كالثمار على شجر * فاجن الثمار وخل العود للنار

الرابع فيما قاله العلماء في ذلك اعلم ان حجة الاسلام الامام الغزالي قال في كتابه تهافت الفلاسفة ما نصه القسم الثاني ما لا يصدم مذهبهم (اي الفلاسفة) فيه اصلا من اصول الدين وليس من ضرورة تصديق الانبياء والرسل منازعتهم فيه كقولهم ان خسوف القمر عبارة عن انمحاء ضوء القمر بتوسط الارض بينه و بين الشمس من حيث انه يقتبس نوره من الشمس وان الارض كرة والسماء محيطة بها من الجوانب فاذا وقع القمر في ظل الارض انقطع عنه نور الشمس وكقولهم ان كسوف الشمس معناه وقوف جرم القمر (أي مروره) بين الناظر و بين الشمس وذلك عند اجتماعهما في العقدتين وهما المسميان بالرأس والذنب على دقيقة واحدة وهذا الفن ايضا لسنا نخوض في ابطاله اذ لا يتعلق به غرض ومن ظن ان المناظرة في ابطال هذا من الدين فقد جنى على الدين وضعف امره فان هذه الامور تقوم عليها براهين هندسية وحسابية لا تبقى معها ريبة فمن يطلع عليها ويتحقق ادلتها حتى يخبر بسببها عن وقت الكسوفين وقدرهما ومدة بقائهما الى الانجلاء اذا قيل له ان هذا على خلاف الشرع لم يسترب فيه وانما يسترب في الشرع وضرر الشرع ممن ينصره لا بطريقه اكثر ممن يطعن فيه بطريقه وهو كما قيل عدو عاقل خير من صديق جاهل فان قيل فقد قال عليه الصلاة والسلام ان الشمس والقمر لآيتان من آيات الله عز وجل لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته فاذا رأيتم ذلك ففزعوا الى ذكر الله تعالى والصلاة فكيف يلائم هذا ما قالوه قلنا ليس في هذا ما يناقض ما قالوه اذ ليس فيه الا نفي وقوع الكسوف لموت أحد ولا لحياته والامر بالصلاة عنده والشرع الذي يأمر بالصلاة عند الزوال والطلوع والغروب من أين يبعد منه أن يأمر بها عند الكسوف استحبابا فان قيل فقد روي انه قال في آخر الحديث ولكن الله إذا تجلى لشيء خضع له فيدل على أن الكسوف خضوع بسبب التجلي قلنا هذه الزيادة لم يصح نقلها فيجب تكذيب ناقلها وانما المروي ما ذكرنا كيف ولو كان صحيحا لكان تاويله أهون من مكابرة أمور قطعية فكم من ظواهر أولت بالادلة القطعية لا تنتهي في الوضوح الى هذا الحد وأعظم ما يفرح الملحدة أن يصرح ناصر الشرع بأن هذا وأمثاله على خلاف الشرع